«الله في زمن الحرب» أم «الحرب في زمن الله»: عن لاهوتٍ في الغياب

نجيب جورج عوض

الزمان، عام ١٩١٤، عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى في أوروبا. المكان، زافنفيل، قرية صناعية في كانتون آراغا في سويسرا، عدد سكانها لا يتجاوز الألفين مواطن. المناسبة، خدمة العبادة الصباحية في يوم الأحد الواقع فيه ٢٦ تموز ١٩١٤ في الكنيسة البروتستانتية في القرية التي يشكّل البروتستانت ٩٠٪ من سكانها. يقف قسيس الكنيسة الشاب، اللاهوتي كارل بارت (١٨٨٦- ١٩٦٨) ليلقي عظة خدمة العبادة. اختار بارت لتلك العظة نصّاً كتابياً مأخوذاً من الرسالة إلى أهل أفسس، الأصحاح الثاني، الآيات من أربعة إلى سبعة، والتي يقول كاتب الرسالة البولسي فيها: "الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح – بالنعمة أنتم مخلَّصون – وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع ليظهر في الدهور الآتية غِنى نعمته الفائق باللطف علينا في المسيح يسوع".

اختار راعي تلك الكنيسة الصغيرة نصّاً يتحدث عن الرحمة والنعمة والقيامة من الموت ليشحذ همم رعيته وليحيي فيهم روح السلام الداخلي والرجاء في لحظة تاريخية مَهولَة في تاريخ أوروبا الحديث: لحظة تلبدت فيها غيوم الحرب بكثافة في سماء أوروبا وحجبت بسوادها أيُ بصيص أملٍ باجتناب ما باتَ مصيراً محتوماً عنوانه القتال ومذاقه النار والدم ووجهه الموت الكئيب. لن تكون عظة القس كارل بارت عن الحرب هي عظته الوحيدة عن هذا الموضوع في كنيسته في زافنفيل، بل سيواظب على الوعظ عن الحرب والموت وبشاعة الانكسار البشري في كل خدمة أحدٍ تقريباً، منذ ذاك التاريخ ولبضعة سنوات تالية. والسؤال اللاهوتي والديني الأساس هنا هو: ما الذي يمكن لخادم الإيمان أن يتحدث عنه ويقدمه للناس كرسالة عن الإيمان وكوجبة غذاء روحية عن الله وعن إنجيل المسيح في قلب زمن الحرب؟ أيُ إلهٍ، أيُ أللهٍ مخلِّصٍ ورحومٍ يمكن أن يتحدث بعمقٍ وفاعليةٍ مع الإنسان وهي تغرق ببطئ ولكن بحتمية في ثقب الحرب الأسود والمميت والمرعب؟ أيُّ رسالةِ رجاءٍ وتغييرٍ يمكن لمنبر الكنيسة أن يقدّمها لرعيةٍ ترى خيرةَ شبابها يُساقُون للقتال في ساحاتِ المعارك ويعودون إلى ذويهم في صناديق خشبية رثّة وشاحبة؟ تمتلئ عظات كارل بارت في تلك المرحلة بخطابات كتابية لاهوتية تَعرُض بشفافية وشُجاعَة صراعه اللاهوتي العميق مع تلك الأسئلة: أيُّ أللهٍ أتحدث عنه في زمن الحرب؟ أيُّ أللهٍ يمكن أن يطلَّ بوجهه على بشرٍ باتت رائحة الموت والعدم هواء تنفُّسِهم اليومي وباتت أخبار المعارك على الجبهات ونعوات الشهداء خبزهم اليومي؟ أيُّ أللهٍ وأيُّ مسيحٍ يمكن أن يقنعهم بالثبات في الإيمان والرسو في ميناء خلاص المسيح ومحبّة الله القادرة على كل شيء ونعمته؟ من يقرأ عظات كارل بارت يدهشهُ إصرارُ اللاهوتي، ذو النَفَس الذي لا يكل ولا يتعب في التعليم والتفكير، على أنّه لا يتحدث في قلب الحرب والموت والدمار والعدمية الشاملة لا عن الإنكسار البشري ولا عن الصَلب أو آلام المسيح أو صراعه وعناءه في رسالته الملكوتية، على سبيل المثال. لا شيءَ من هذا أبداً. يختار بارت أن يتحدث عن اسكاتولوجيا الرحمة والنعمة والرجاء في قلب التاريخ، في حمأة مخاض الزمن، في سيرورة الوجود التاريخية. يختار أن يعلن لرعيته أنَّ الله هو سيد التاريخ؛ الله هو الحيُّ الأول في زمن الحرب. لا يتحدث عمّن هو الإنسان في زمن الحرب، بل عن "من هو الله في زمن الحرب". هل للهِ ولحضورهِ معنى أو جدوى في زمن الحرب؟ يجيب بارت قائلاً: الله لا يعلن حضوره الكلّي والعميق والمدهش أكثر مما يفعل ذلك في قلب، في صميم، في فجاجة وبشاعة، في فداحة وظلاميّة، زمن الحرب. الله في زمن الحرب حاضرٌ، يقول كارل بارت، كسيِّدٍ للتاريخ؛ كإلهٍ للزمن؛ كمُخلِّص التاريخ.

منذ عام ٢٠١٠ في يومنا المعاصر، يعيش العالم العربي حالة اضطراب ونزاعات وانقلابات وثورات ومآسٍ تلوَّنت وما تزال بكل ألوان الانقسام والإقصاء والشرذَمَة والتطأيف والتحزُّب والعنصرية والكراهية والمُغايرَة والتخوين ذات الجذور والتمظهرات والخطابات والغايات والإرهاصات الدينية الماهية والدوغمائية والعقائدية المضمون. حتى وصل الأمر بتلك الأعاصير البشعة أن تركت خلفها حروباً دموية وحشيَّة مدمِّرة مسحَت من الوجود كل ملامح ومقومات الحياة البشرية في بلدان مثل سوريا والعراق وليبيا واليمن. وجدَ الناس القاطنون في ظهرانين المشرق العربي وشمال أفريقيا أنفسهم ضحايا موتٍ ودمارٍ وعدمية (nihilism) منفلتة العقال، عمياء صمّاء، تبتلع الأخضر واليابس وتَفني في طريقها كل معالم الحياة التي يمكن تسميتها "حياة بشرية".

«الله في زمن الحرب» أم «الحرب في زمن الله»: عن لاهوتٍ في الغياب

نجيب جورج عوض

عن إيٍ إلهٍ يمكن لخدّام المسيح أن يتحدثوا لرعاياهم في قلب هذا السياق المخيف؟ هل ينفع إلهُ كارل بارت "الله في زمن الحرب" كرسالة في تلك المعمعة؟ لا أحسب أنه ينفع كثيراً. ففي السياق الأوروبي الذي خَدمَ فيه كارل بارت كان هناك هيمنة لفكر مركزي-بشري (anthropocentric) يعلنُ الإنسانَ سيداً واحداً أحداً على الوجود ويقدّمهُ راعياً أولاً للكون بدلاً عن الراعي الميتافيزيقي المقدّس الذي لطالما نادت به الكنيسة في القرون السابقة. في وجه الموت والعدمية التي نتجت عن هذا الفكر المركزي-بشري، أعلن كارل بارت أنَّ الله وليس الإنسان هو سيد التاريخ وتحدَّث عن "الله في زمن الحرب" كخطابٍ مضادٍ لخطابِ "الإنسان في زمن الحرب".

لا ينفع برأيي خطاب كارل بارت عن "الله في زمن الحرب" في السياق العربي-المشرقي المعاصر. ففي هذا الجزء من العالم لا نعاني من فكر مركزي-بشري يحاول أن يعلّي من قيمة الإنسان بصفته إنسان عاقل ومفكّر وحُرّ ذو ذاتٍ واعيةٍ لذاتِها ومُكتفية بذاتِها. يعيش الناس في المشرق العربي تحت سطوةِ خدامٍ ومنظّرين وأصحاب خطابٍ يقفون في مِحرابِ فكرٍ معاكسٍ مركزي-ألوهي (theo-centric)، أو بشكلٍ أدق "مركزي-ديني" (religio-centric)، ينظرُ للإنسان على أنها مجرد أداةٍ أو عنصرٍ في خدمة مركزية المقدَّس وسيادة التديني ومجرد ذاتٍ شبهُ واعيةٍ، غيبيّةٍ، تُعرِّف ذاتها، بل وتحققها، بدلالة طاعتها وخضوعها وتسليمها الكلي لسيادة ووصاية الديني والمقدَّس. بكلام آخر، يعيش المشرق العربي في زمن وتاريخ التديُّن والتمركز حول المقدس؛ بل يرى نفسه حاضراً أبداً، واقفاً بلا راحةٍ، في قلب تاريخ المقدس والديني والمؤلَّه. وإذا كان الخطاب اللاهوتي الذي قدمه كارل بارت لأوروبا في الحرب العالمية الأولى هو خطاب عن "الله في زمن الحرب"، فيبدو لي أنَّ الخطاب الذي يسود في المشرق العربي، بشقيه المسيحي والمسلم على حد سواء، هو خطابٌ يقدم وعياً للوجود يتجذّرُ في فهمٍ للحرب يصوِّرها على أنها حالة وجودٍ في زمن الله: "الحرب في زمن الله". الكل في المشرق يحارب ويقاوم ويثور ويناهض الآخرين وكأنه أو كأنها يصارعان الوجود في تاريخٍ يملكه ويسيطر عليه الاتكال على الإرث المقدس وتعريف الذات بدلالة الميل والتقليد التديني من ألفِه إلى يائه، ولا يد للبشر أو للعقل البشري في سيرورته. هي حربٌ في زمن الله؛ حربٌ باسم تاريخٍ مؤلَّهٍ وتديُّني؛ حربٌ في خدمة زمنٍ ألوهي أو متألِّه، بدايته ونهايته في الماورائيات السماوية وتمظهراتها التنزيلية وليس على الأرض. ولكن، هل هذا هو الخطاب المسيحي الذي نحتاجه في وجودنا وصراعنا للنجاة والحفاظ على التوازن العقلي والروحي ومحاولة التصالح مع حياتنا ووعينا الوجودي والإيماني؟ هذا سؤال آخر؛ هذا هو السؤال الحقيقي.

كيف نقارب الله في أتون الحرب والموت والفناء؟ هل ننظر لله في زمن الحرب، أم أنَّ علينا أن ننظر للحرب في زمن الله؟ يقول التاريخ اللاهوتي التفسيري المسيحي لنا أننا حين نقارب الله من زاوية زمن الحرب ننتهي بعبادة إلهٍ محارِب؛ إلهٌ ربوبيته وجبروته يطغيان على رحمته ومحبته وعنايته الشمولية؛ ننتهي بإله القبيلة؛ إله الطائفة؛ إله الشعب المختار؛ إله الإمبراطور؛ إله المعركة والنُصرة والحروب المقدسة أو العادلة أو حتى الروحية. نفس التاريخ يخبرنا أيضاً أننا حين نقارب الحرب من زاوية زمن الله ننتهي بتأليه وعبادة القوة والطغيان والجبروت والهيمنة والتسلط تحت تسمية "الله" أو "المقدس" أو "الإلهي"؛ نعبد القوة ونسميها إلهاً. ننتهي بإله الدين؛ إله الطائفة؛ إله الغزوات باسم نصرة الدين أو نصرة الفرق الناجية. ننتهي بالقتل والعنف والعدمية باسم الله. يقول التاريخ لنا أنَّ الخيار الأول هو إلهٌ عنيف دموي، والخيار الثاني هو عنف وكراهية مقدسة ودينية.

إلا أنَّ نفس التاريخ يقدّم لنا خياراً ثالثاً يتجاوز الخيارين السابقين ويفرغ أنيابهما من سُمِّها الزعاف: خيار الله الحاضر كإلهٍ تغيّبهُ ظلمة الحرب؛ الله الذي يعرِّفهُ الغياب؛ الله الواقف في العتمة؛ إله التاريخ الصامت في حضوره؛ المُحَرِّر في عجزه؛ المُحيي عبر الممات. هذا الله وهذا الحضور في عتمة الحرب والموت هو الخيار الذي رسمه لنا تقليد لاهوتي عميق وصادم، مُزعِج عقلياً، مُقلِق روحياً، مجنون اختباراً، مُدهشٌ وفَجٌّ تعبيراً، هو التقليد الذي بدأ في نصوص القديس غريغوريوس النيصي،

مـروراً بديونيسـيوس الأريوباغـي المزعـوم وميثوديـوس المزعـوم ويوحنـا الدمشـقي ومنهـم المايسـتر إيكهـارد وهيلديغـارد مـن بينغـن وصـولاً إلى الراهـب الأوغسـطيني مارتـن لوثـر وروحانيتـه الأخرويـة. هـذا الراهـب الأغسـطيني الأخـير بالـذات يخبرنـا في كتاباتـه المبكـرة أنـه فهـم معنـى أن نبـصر اللـه حـاضراً بعنائـه الخـلاصي في العـالم حـين اكتشـف أننـا نحـن البـشر غارقـون لقمـم رؤوسـنا في الـبراز (cloaca). يقـدم لنـا مارتـن لوثـر الشـاب في نصوصـه اللاهوتيـة سرداً مسـتفزاً فكريـاً عـن حضـور اللـه في زمـن البـؤس والمـوت والوحشـية البشريـة مـن خـلال لاهـوتٍ يجـب تسـميته بـدون مواربـة أو خجـل "لاهـوت الـبراز". صـادمٌ وفـجٌّ تعبـير مارتـن لوثـر. إلا أنـه عميـق جـداً لاهوتيـاً. آمـن لوثـر بـأنَّ بِـرَّ اللـه في حياتنـا لا يتبـدّى في الانجـاز والانتصـار، بـل في الاتضـاع والهزيمـة، ورأى أنَ أعمـق وأوضـح تعبـير عـن الاتضـاع الـذي يريـد اللـه لنـا أن نسـتكين إليـه هـو رمـز الوقـوف في قلـب حـوضٍ مـن الخـراء. لا بـل إنَّ لوثـر يُقـرُ في إحـدى نصوصـه بأنـه شـخصياً اسـتوحى تلـك الفكـرة اللاهوتيـة أثنـاء اسـتغراقه بتأمـلات فكريـة وروحيـة في الحـمّام. رمزيـة "الوقـوف في الخـراء" هـي طريقـة مارتـن لوثـر لدعـوة الإنسـان للالتصـاق بنعمـة اللـه وخضوعهـا لهـا مـن خـلال اسـتبصار حضـور تلـك النعمـة وعملهـا لا في النـور، بـل في الظلمـة؛ لا في أوقـات الخـير والسـعادة والسـلام، بـل في قلـب أزمنـة الـشر والانكسـار والهزيمـة. يدعـو لوثـر الإنسـان لتلتفـت لبرازهـا الشـخصي، لقذارتـه التـي يسـبح فيهـا في قلـب العـالم؛ وكأن هـذا المسـتنقع الملـوث هـو فضـاء العـالم ذاتـه.

مـا تحـدث عنـه مارتـن لوثـر عـلى أنـه لاهـوت ينتـج عـن تأمـل حيـاة الإنسـان في قلـب "الـبراز" أعـاد فريدريـك نيتشـه (اللوثـري التـنشئة) تـرداده بمفـردات فلسـفية وهرمنوتيكيـة جديـدة حـين تحـدث عـن "موت/غيـاب اللـه". في القرنـين الماضيـين، تعلّقـت أجيـال لا تنتهـي مـن الفلاسـفة والمفكريـن الأوروبيـين بحبـال مقولـة فريدريـك نيتشـه الشـهيرة، والتـي باتـت أقـرب للشـعبية والشـعبوية: "أللـه ميـت". ومـن رحـم تلـك المقولـة ولـدَ عـصر فكـري جديـد تمـرد عـلى فكـر الأنـوار والحداثـة في العـالم الغـربي نسـميه بفكـر "مابعـد-الحداثـة". تعمَّـد العديـد مـن الفلاسـفة الذيـن تبنـوا تلـك المقولـة بأن يوظفوهـا مجتـزأة ومشـوهة المعنـى، يـراد بهـا خـلاف مـا أراد نيتشـه نفسـه قولـه. مـن يقـرأ النـص النيتشـوي حيـث تـرد تلـك العبـارة يرى نيتشـه يتابـع تلـك المقـول بجملـة كاملـة شـديدة الأهميـة وبدونهـا لا يسـتوي مقصـد نيتشـه ولا يتضـح: "اللـه ميـت، والمؤمنـون بـه هـم مـن قـتله". هـذا الجـزء الثـاني مـن جملة نيتشـه هام جـداً، فهـو يريد بهـذه الجملـة لا أن يقـول أنّ اللـه بحـد ذاتـه لا وجـود لـه ولا كيـان. بالعكـس، نيتشـه يقـول لنـا أنَّ أتبـاع اللـه المتدينـين ومؤسسـاتهم الدينيـة عملـوا عـلى تغييـب اللـه وحجبـه، وبهـذا المعنـى "قتلـه"، بـأن حولـوه إلى خطـاب مـاورائيّ علـويّ سـلطويّ يخـدم قـوّة وسـطوة الإنسـان. في المـشرق العـربي اليـوم، نعيـش تمامـاً في سـياق حضـورٍ ووعـيٍ يرسـمان بقـوة ملامـح نفـس السـياق الـذي يتحـدث عنـه نيتشـه ويحملـه مسـؤولية قتـل اللـه. في المـشرق العـربي، بـل وربمّـا العـالم أجمـع، اليـوم نعيـش في عـصر تدينـي "مابعد-دينـي"؛ عـصر تدينـي مـا بعد-أللهـي" (post-religious, post-theos religiosity). لمـاذا؟ لأننـا اسـتبدلنا حضـور اللـه بحضـور موتـه؛ بحضـور غيابـه، بـأن حولنـاه إلى أداة تخـدم حضـور الحـرب وحيـاة الفنـاء والعـدم. "اللـه في زمـن الحـرب" هـو، كـما يقـول نيتشـه، "إلـه ميـت"، ومـا نحـن سـوى أولئـك المتدينـون تدينـاً مابعد-دينـي، والذيـن قتلنـاه.

مـن الفلاسـفة المعاصريـن الذيـن يبنـون عـلى فكـرة نيتشـه عـن مـوت أو غيـاب اللـه قراءتهـم للديـن وللإيمـان باللـه في سـياق اليـوم الفيلسـوف الإيطـالي جيـاني فاتيمـو. يقـترح فاتيمـو بـأنَّ وصولنـا إلى حالـة وجـود قوامهـا "موت/غيـاب اللـه" قـد لا يكـون كارثيـاً أو مـؤشراً عـلى نهايـة الرجـاء البـشري: حيـث نجـد أنفسـنا متروكـين لمصائـر عميـاء خرقـاء اعتباطيـة نهللسـتية بـلا معنـى أو هويـة أو تفسـير أو هـدف. خلافـاً لهـذا، يقـترح فاتيمـو أنَّ غيـاب أو مـوت اللـه مـا هـو إلا فرصـة تاريخيـة للبشريـة كي تـرى اللـه في ذاتـه وكي تعـود إليـه. فمـن مـات وتوجَّـبَ إعـلان غيابـه هـو ذاك التديـن الـذي إمّـا يسـتبدل اللـه بالديـن ويجعـل اللـه أداة في خدمـة الزمـان ("اللـه في زمـن الحـرب")، أو أنـه يجعـل اللـه إسـماً لزمـانٍ سـلطويّ وحالـة بحـث عـن هيمنـة ووجـود قوامهـا إفنـاء الآخـر أو مغايرتـه ("الحـرب في زمـن اللـه"). يصبـح مـوت اللـه أو غيابـه هـو السـبيل الوحيـد لاكــتناه ولفهـم حضـوره وللتلاقـي مـع حياتـه. لا معنـى لحضـور اللـه في زمـن الحـرب إلا بصفتـه اللـه الحـاضر في الغيـاب؛ اللـه الـذي يقـف في الظلمـة؛ اللـه الـذي لا معنـى لـه إلا مـن خـلال "لاهـوت الـبراز"؛ بـراز بشريتنـا التـي إمـا تؤلّـه العنـف والمـوت وتشرعنهـما

«الله في زمن الحرب» أم «الحرب في زمن الله»: عن لاهوتٍ في الغياب

نجيب جورج عوض

باسم التديُّن وغيرة الدين وحماية الوجود الديني الطائفي، أو تُلبِس الله خوذة ودِرع وتُرس الحرب وترسله إرهابياً أو جهادياً أو مقاوماً لنشر الموت والقتل والعدمية نصرةً لها وفتحاً باسمها. فقط الله الذي تغمره الظلمة هو الله ذو المعنى في زمن الحرب والموت؛ فالله الحاضر الطاغي والمرئي والمُهيمِن في حضوره خطرٌ على الإنسان لأنه يتحول إلى أداةٍ بيد هذا الإنسان ويصبح عنوانُ سطوة التديُّن مابعد-الديني. الله في زمن الحرب هو الصوت الصارخ في العتمة؛ في كثافة الغياب؛ ضد الحرب التي نشعلها في زمن التأليه، وزمن التطأيف، وزمن تقديس الكراهية وأيقَنَة الخوف والعنصرية، وزمن الركوع للحاكم الأبدي والكاهن الأبدي على حد سواء. الله في زمن الحرب هو الإنسانيّة المغيَبة والمكبوتة والمُضطهَدَة على يد الإنسان دون سواه، على يد عودة الإنسان المؤدلَجَة والغرائزية النكوصية للوراء على مسار تطوره البيولوجي والوجودي إلى مرحلة ماقبل الكائن العاقل، مرحلة ماقبل النزول عن الشجرة والسفر في صحراء أفريقيا الشرقية قبل أربعة ملايين عام ونصف. وكلما حضر الله في مخيال هذا الإنسان، كلما تسعَرَت الحرب وتأجج الموت وتخصَّبَ العنف والقتل أكثر في حياته: إما انطلاقاً من حربٍ يشرعنها إيمانٌ بزمن الله، أو على قاعدة إيمانٍ بالمقدس الديني يغذّيهِ ويحقنه بالحياة انخراطٌ في زمن حرب.

فقط الله الغائب في قلب المعاناة، الله الواقف في العتمة، هو الله المخلِّص والشافي والمُحَرِّر، يقول لنا لاهوتيو واتباع خيار "الظلمة الإلهية" أو "لاهوت البراز". فقط الله الغائب عن الحرب والتعاسة البشرية يستطيع أن يخرجنا من "الحرب في زمن الله" ومن "أللـه في زمن الحرب". وحده الله الغائب يُدخلنا إلى "إنسانية في زمن الله" ويسافر فينا إلى فضاء "الله في زمن الإنسان". وحده يصالح بيننا وبين بشريتنا حين يحتجب عن المشهد كي يدفعنا لنرى واقعنا البشع، أما هو فلا يلتهي عن هذا الواقع وعن تبصُّرِه الكامل بهوسنا إما بتقديس وحشيتنا أو بحيونة إيماننا. يصبح عندها إدراكنا لغياب الله بداية تلمسنا لغياب إنسانيتنا، بداية شمّنا لرائحة البراز الذي نغوص فيه إما باسم الجهاد المقدس أو باسم الله المحارب.

ختاماً، علينا أن ندرك أن الله الغائص في وحل التاريخ بصمته لا يحضر في التاريخ ليعمل في خدمة تضرعات المتألمين وبالنيابة عن أمنياتهم وتصوراتهم المسبقة. لو كان هذا هو الحال، لما عنى الله لأولئك المتألمين شيئاً لأنهم عندها سيتعاملون مع حضوره كأمرٍ مفروغٍ منه وتحصيلُ حاصِل. هذا النوع من اليقين يُفرِغ الحضور من معناه وقيمته. فقط عندما يغيب الله عن المشهد يُستفزُ المتألمون ويتحفّزون كي يفكروا بالله ويعود المقدس ليخطُر على بالهم وليشعروا بقيمة حضوره. الله الغائب المُحتَجِب هو سر إدراكنا لحضور الله ووعينا لها وعلاقتنا معها. في زمن الحرب، لنتوقف عن البحث عن الله وتقصّي حضوره، ولنفتح أعيينا على غيابها التام عن أي حربٍ، سواء حرب باسم الله أو حرب لأجل الله أو حرب تتحدى كلّ ما تمثله الألوهة. لنفتح أعيينا على الغياب، على الله في العتمة، على ظلمة غياب الله، فهي النافذة المُشرِفَة على حضورها. بهذا المعنى، لاهوت البراز أو لاهوت الظلمة الإلهية هو انفتاح على حالة العدمية الفلسفية التي يتحدث عنها مفكّرو مابعد الحداثة، وعلى رأسهم جياني فاتيمو (والتي لم يمهَّد لولادتها سوى لاهوتيون-فلاسفة لادينيون مثل نيتشه وهايدغر)، بصفتها طريق عودة المسيحية التجسّدية القائمة على فكرتي بذل الذات والمحبّة – ضد المسيحية القائمة على مُطلقيّة الحقيقة المنزَلة من السلطة الكنسية وإيديولوجيات توظيف الله في خدمة تلك السلطة – إلى الساحة العامّة العالمية. بهذا المعنى، أقول أنّ طريقنا إلى العلاقة بالله وتبصُّر حضورها المقدس والباذل لذاته والمُحِب في عالم المشرق النهللستي الجديد ما هو إلا طريق قوامه عبورنا من حالة التديُّن الديني الحاضر إلى حالة إيمان مابعد-ديني؛ ماوراء-الدين؛ حالة إيمان لاتديني بإله مابعد-مطلق؛ مابعد-فوقي ومابعد-ماورائي: إله حضوره يكمن في بذل ذاته، عملها يكمن في حبّها الفائق في عمق الحضور؛ تماماً مثلما يكمن في قذارة الغياب.